الفصل الثالث

الاعتداءات على الحرمين الشريفين في العصر الحديث

obeikan.com

obeikan.com

تعرض الحرمان الشريفان فى العصر الحديث لاعتداءات متعددة بهدف النيل من مقدسات المسلمين ، واهانتهم فى دينهم ولم تتوقف هذه المحاولات على النصارى بل شملت بعض من يدعون الاسلام ، والاسلام برىء منهم والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها :

١ ــ مؤازرة الصفويين للقوى البرتغالية المعادية للاسلام ، وتحالفهم معها خلال محاولتهم الاعتداء على مقدسات المسلمين وأوطانهم ، بهدف تطويق البلدان العربية واضعافها حتى يتمكنوا من تحقيق رغبتهم فى تحويل الحج من مكة الى مشهد هذا الى جانب دعوتهم لاعلان البراءة من المشركين خلال مسيرات وعدم اعطائهم لهذه الفريضة ما لها من قدسية بين أركان الاسلام .

٢ ــ محاولة البرتغاليين هدم الكعبة المشرفة ، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بهدف اهانة المسلمين فى مقدساتهم نتيجة لدوافع صليبية متعصبة مسرفة فى عدائها للمسلمين .

٣ ــ تعرض أمن الحرمين الشريفين لبعض الفتن فى

العصر العثمانى خصوصا فى فترة ضعف الدولة العثمانيـة ، وانشغالها عن حفظ أمن الحرمين وانتهاك مدافـع الأتـراك العثمانيين لحرمة الكعبة والمسجد الحرام أثناء ثورة الشريف حسين وخلال دفاع الأتراك عن وجودهم فى مكة .

٤ ــ الشائعات التى روجها أعداء الدولـة السعوديـة الأولى ، والحرب النفسية والفكرية التى شـنوها ضـدها ، واتهامها بمنع الحج الى بيت الله الحرام بهدف ابعاد المسلمين عنها والنيل من شأنها وتفنيد هذه الشائعات والرد عليها .

٥ ــ ظهور رأس الفتنة القرمطية خلال الحكم السعودى وتحمل المملكة العربية السعودية مسئولية حماية أمن الحرمين الشريفين وضربها على يد كل من حـاول تعـكير صـفو أمن الطائفين والقائمين فى المسجد الحرام ومسجد الرسول الأمين ونجاحها فى القضاء على محاولات الشرذمة الباغية التى حاولت ترويع أمن أطهر بقعة عـلى الأرض وفيما يلى نعـرض لهذه المحـاولات :

١ ــ الصفويون والحرمان الشريفان :

قامت الدولة الصفوية فى ايران فى بداية القرن العاشر الهجرى وأعلنت مذهبها الشيعى الجعفرى عـلى الرغم من أن

أغلبية سكان البلاد فى ذلك الوقت كانوا من السنة[١] .

وقد اتسم العصر الصفوى فى ايران بالاستبداد والقهر والتعصب الذى عانى منه أهل السنة فضلا عن أن الصفويين لم يترددوا فى مؤازرة القوى المعادية للمسلمين فى ذلك الوقت بدلا من مساندتها والوقوف بجانبها أمام القوى النصرانية التى تخطط للالتفاف حول العالم الاسلامى والسيطرة عليه بل تحالفت معهم ، وخطبت ودهم مما أعطى الفرصة لأعداء الاسلام وجعلهم يستغلون هذا الموقف متبعين فى ذلك مبدأ « فرق تسد » بين المسلمين وأبرز الأمثلة على ذلك قيام الصفويين بخطب ود البرتغاليين أثناء حصارهم للموانى العربية وسواحل البحر الأحمر والخليج العربى خصوصا وأن الغاية توحدت بينهما للقضاء على الأساطيل العربية ، واحتلال بلاد العرب ، والتخلص من منافستهم[٢] .

وتبعا لذلك فقد حدثت العديد من المراسلات بين القائد البرتغالى « البوكيرك » والشاه « اسماعيل الصفوى » والتى

---

(١) فهمى هويدى : ايران من الداخل ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ص ٥٨ .

(٢) امين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، بيروت دار الكاتب العربى ص ٣٠ .

يتضح منها رغبة الطرفين فى مساندة الآخر ضد أبناء الأمة الاسلامية ، ومن ذلك نذكر ما ورد فى رسالة البوكيرك الى الشاه حتى تتضح المؤامرة .

أرسل البوكيرك مبعوثا برسالة الى الشاه يقول فيها : « ... واذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة ، فستجدنى بجانبك فى البحر الأحمر أمام جدة أو فى عدن أو فى البحرين أو فى القطيف أو فى البصرة ... »[٣] .

يضاف الى ذلك أن الصفويين ساعدوا قوى الاستعمار العالمى فى وقف التوسع العثمانى تجاه أوربا ، انتقاما لهزيمتهم أمام السلطان سليم الأول العثمانى ، كما بعث الشاه اسماعيل الصفوى برسله الى أوربا للتفاوض مع بعض ملوك الفرنج بشأن معاونته ضد السلطان الغورى فى مصر[٤] نظير

---

(٣) بدر الدين الحضوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر حـ ١ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل الطبعة الأولى ١٩٧٨ ص ١٨ .

(٤) محمد بن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حـ ٤ ـ تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٢٠٥ .

تقسيم دولته بينهما على أن تكون مصر من نصيبهم ويستحوذ هو على بلاد الشـــام[٥] .

ولنا أن نتساءل عن الأسباب التى دفعت الصفويين الى هذا التحالف المشـــين مع البرتغاليين وضـــد الاســـلام الذى ينتسبون اليـــه .

الواقع أنه بعد هزيمة الشاه اسماعيل الصفوى فى معركة جالديران ٩٢٠هـ / ١٥١٤م حاول الصفويون رد اعتبـــارهم بالتحالف مع البرتغاليين لمساعدتهم ضـــد العثمانيين ، وانتهى الأمر بعقد اتفاقية بين الطرفين بهدف أن تتحد الدولتان ضد الدولة العثمانية وآن يقـــوم البرتغـــاليون بامداد الصـــفويين بالسفن الحربية فى حملتهم على البحرين والقطيف فى مقابل أن يتنازلوا للبرتغاليين عن ميناء جوادر على ساحل بلوخستان، وعن جزيرة هرمز وتصبح تابعة للبرتغال[٦] .

كل ذلك أقلق الدولة العثمانية ، وجعلها تعد العدة لمواجهة الموقف ، والى جانب ذلك حاول الصفويون نشر المذهب الشيعى

---

(٥) عبد العزيز نوار : الشعوب الاســـلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٢ ص ٧١ .

(٦) بديع جمعه وآخـــر : تاريخ الصفويين وحضـــارتهم حـ ١ ص ٩٧ .

فى منطقة الأناضول والولايات العربية فى آسيا وافريقيـة ، مما جعل الدولة العثمانية ـ بصفتها حاميـة المذهب السنى ـ تقف بالمرصاد لهذه المحاولات حتى نجحت فى حصر المذهب الشيعى فى فارس واستولت على الأجزاء الغربية من ايران ، هذا الى جانب عـدم سـماحها بتسرب المذهب الشيعى الى الأقاليم العربية التى دخلت تحت سيادتها ، وعلى الرغم من ذلك فقد اجتهد الصفويون فى تحويل الحج من مكة الى مشهد فسار عباس الصفوى من أصفهان الى مشهد مشـيا عـلى الأقـدام حيث يرقد الامام على الرضا[٩] وهو الامام الثامن عند الشيعة الاثنى عشرية[١٠] • مما أعـاد الى الأذهان سيرة الحاكم بأمر الله العبيدى ، والملك الرحيم الحاكم البيويهى •

ومؤرخو الشيعة عندما يتحدثون اليـوم عن الصفويين

---

(٧) احمد محمود الساداتى : رضاه شاه بهلوى ـ نهضة ايران الحديثة ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م ص ٨ .

(٨) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، حـ ٢ ، القاهـرة ، الانجـلو المصريـة ١٩٨٠ ص ٩٦٤ ـ ٩٦٥ .

(٩) ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عـلى زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب .

(١٠) محمود شاكر : ايران ، المكتب الاسلامى ١٣٩٥ هـ ص ٥٣ .

وعن عباس الصفوى لا يأتون بأدلة على أنه لم يحـول الناس من الحج الى مشهد بدلا من مكة وانما يقولون « أن ظـلم الدولة العثمانية كان سببا فى اقدامه على هذا العمل ، وفى حجه الى قبر على الرضا فى مشهد دليل على تعظيمه وحبـه للعرب[١١] وان القضية ــ كما يزعمـون سياسـية ، وليست عقائدية وهـذا افتـراء كبير ومراوغـة واضحة خصوصـا وأن الصفويين لم يعطوا للبيت الحرام المكانة اللائقـة به ، ولم يعطوا فريضة الحج مالها من شـأن بـين أركان الدين الاسلامى فأوضح الشاه اسماعيل الصفوى فى رسالة له الى « شبيك خان » زعيم الازبك أن زيارة امام من أئمة الشيعة فى قبره تساوى سبعين حجة نافلة كما وصل هذا الشـاه الى أبعد من ذلك عندما أعلن بأن حج أهل السنة باطل وان للشيعة وحدهم الحق فى الحج ، يضاف الى ذلك أنه لم يهتم بتأمين طرق قوافل الحج القادمة من آسيا عبر ايران والعراق بل كان يشجع القبائل الموالية له على قطع الطريق ، وسـلب أموال الحجاج والاعتداء على أرواحهم وأعراضهم[١٢] .

---

(١١) عبد الله الفريب : وجاء دور المجوس ، القاهـرة ، دار الجيل للطباعة ١٩٨١ ص ٨٢ .

(١٢) قدسية الحرمين الشريفين ، مقال بعنوان الاعتداءات الصفوية على الحرم المكى ص ٥٣ ــ ٥٤ .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل استحدث علماء الشيعة العديد من التغيرات العقائدية فى فريضة الحج فأخرجوا من السور والآيات القرآنية والتفاسير المختلفة معان لا تتفق وروح الاسلام ، ومن هنا جاء خطر دعوتهم على العامة وأهم هذه الأمور هى فتوى علماء الشيعة الصفويين بأن من شروط الحج اعلان البراءة من المشركين من خلال مسيرات(١٣) اقتداء بسيرة الامام على بن أبى طالب عندما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم فى العام التاسع من الهجرة بقراءة بيان البراءة على الناس « وآذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله »(١٤) .

والحقيقة أن بيان البراءة الذى أصدره النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن الهدف منه سوى نبذ العهود بين نبى الاسلام وبعض القبائل بقصد جعل مكة وحرمها مكانا اسلاميا خالصا لا يجوز أن يدخله مشرك ، واثبات أن الحج أصبح حجا اسلاميا خالصا بعد أن برئت الكعبة من الأصنام ولذلك

---

(١٣) قدسية الحرمين الشريفين : تحت عنوان الاعتداءات الصفوية على الحرم المكى ص ٥٦ .

(١٤) التوبة : الآية (٣) .

فــلا يجب أن يحــج اليهــا مشرك ، وألا يقــرب المســجد الحــرام[١٥] .

والسؤال المطروح هو : هل هناك حاجة الى اعلان البراءة من المشركين بعد أن طهرت مكة وما حولها منهم ، ولم يعد بها مشرك واحد وأصبحت خالصة للمســلمين لا يدخــلها أحــد غيرهم .

الواقع انه ليس هناك مكان لاعلان البراءة وشغل المسلمين بما ليس فى دينهم ؛ ومن مناسك وشعائر حجهم بل يجب أن يتفرغوا لأداء المناسك والشعائر خالصة لله كما شرعه المولى عز وجل ومع ذلك فقد حاول الايرانيون الادعاء بأن البــراءة ينبغى أن تعلن من خلال مسيرات وذلك لترويع أمن الحجيج ، واستحداث مايتنافى مع قدسية فريضة الحج ، وهذه بدعــة ابتدعت لأغراض سياسية وهكذا يتضح مدى خطورة ما خطط له الصفويون من أهداف عدوانية ضد الاسلام ، ومقدســات المسلمين مما أدى فى نهاية الأمر الى تطــور الأوضــاع فى العالم الاسلامى فى غير صالح المسلمين ، فبدلا من أن يكون بأس المسلمين على عدوهم أصبح بأســهم بينهم شــديدا ،

---

(١٥) احمد الشريف : مكة والمدينــة فى الجاهليــة وعهد الرسول ، القاهرة دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ص٥٣٦ .

واستغل أعداء الاسلام هذه الفرصة وبدأوا فى مناصرة فريق من المسلمين على آخر بهدف زيادة اشعال الفرقة ، والقضاء على أى فرصة لجمع الشمل بين أبناء الأمة الاسلامية .

٢ ــ البرتغاليون والحرمان الشريفان :

بعد اندحار محاولات الصليبيين فى السيطرة على الحجاز والهجوم على مكة المكرمة ، عاود البرتغاليون نشاطهم حول شبه الجزيرة العربية ، وركزوا اهتمامهم نحو طريق البحر الأحمر الذى يوصل الى الأماكن الاسلامية المقدسة التى ترنو أنظار البرتغاليين اليها لتحقيق أهداف صليبية[١٦] فشددوا قبضتهم عليه ، وحاولوا احكام الخناق على المسلمين ، والقضاء عليهم فمنعوا سفنهم الذاهبة الى جزيرة العرب ، وتعرضوا لحجاج بيت الله الحرام ولم يسمحوا لهم بالسفر الى مكة[١٧] واضرموا النيران فى سفنهم ، والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها أن القائد البرتغالى « فاسكودى جاما » ، تعقب سفينة عربية عائدة من مكة المكرمة ، واستطاع أسرها

---

(١٦) بدر الدين الخصوصى : المرجع السابق ص ١٩ .

(١٧) عبد العزيز المنقاوى : تاريخ ظهور الاسلام فى ساحل ملبار من خلال مخطوط المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين ، بحث القى فى ندوة راس الخيمة التاريخية الثالثة ، شعبان ١٤١٠ ص ٣ .

واستولى على ما بها من بضائع ، ومنع اخراج أى راكب منها ثم أصدر أوامره باشعال النار فيها[١٨] .

والى جانب ذلك ، أرسل البرتغاليون جواسيسهم فى قوافل الحج المتجهة من المغرب الى الحجـاز عبر مصر حتى يتمكنوا من جمع المعلومات عن القوى الاسلامية وأوضاعها الداخلية وبعدها وضعوا مخططا صليبيا خطيرا للغاية تمثل فى سيطرتهم على البحر الأحمر وفى استيلائهم عـلى جدة ، ثم الزحف منها الى مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة[١٩] ، ثم مواصلة الزحف الى المدينة المنورة لنبش قبر الرسول صـلى الله عليه وسلم ، ومواصلة الزحف بعد ذلك الى تبوك وصولا الى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة[٢٠] ولكن ارادة الله حطمت هذه الخطط الخبيثـة وكشفتها عندما

---

(١٨) انظـر : بانيـكار : آسـيا والسيطرة الغربيـة ص ٤٠ — ٤١ .

(١٩) يؤكد ذلك ما ذكره القائد البرتغالى البوكيرك فى احدى رسائله للملك عمانوئيل بقوله : « .. يكون من السهل تجهيز ٥٠٠ فارس برتغالى بمعداتهم للنزول فى جدة ، ومن هناك ينتقلون الى مكة وهى رحلة يوم ليجعلوها رمادا » .

انظر مصطفى رمضان : العالم الاسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ص ٨٤ .

(٢٠) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٦٩٨ .

ارتاب الشريف بركات أمير مكة المكرمة فى ثلاثة أشخاص تسللوا الى مكة المكرمة فى ملابس العثمانيين ، وكانوا يحومون حول المسجد الحرام متظاهرين بأنهم من المسلمين ويتكلمون التركية والعربية • فلما قبض عليهم تبين انهم من الافرنج[٢١] وباستجوابهم اتضح أنهم جواسيس برتغاليون بعثت بهم سلطات لشبونة للعمل كأدلاء للجيش البرتغالى الصليبى عند دخوله مكة • وقد وضعهم الشريف فى الحديد ، وبعث بهم الى السلطان الغورى فى مصر[٢٢] ، وكان ذلك فى نهاية دولة المماليك وقبل وصول العثمانيين الى البحر الأحمر •

وبعد نجاح العثمانيين فى هزيمة المماليك فى الشام ومصر فى معركتى مرج دابق والريدانية فى عامى ٩٢٢ ، ٩٢٣هـ ، وضم بلاد الحجاز سلميا الى الدولة العثمانية استطاع العثمانيون بعد محاولات مستميتة من ابعاد البرتغاليين عن البحر الأحمر ، وتأمينه أمام الغزو البرتغالى ، وجعله طريقا بحريا للسفن الاسلامية فقط ، بحيث أصبح محرما على السفن غير الاسلامية تجاوز موقع ميناء « المخا » فى اليمن بحجة أن هذا البحر يطل على الأماكن الاسلامية المقدسة فى

---

(٢١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حـ ٤ ص ١٩١ •

(٢٢) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٦٩٨ •

الحجاز[٢٣] ، كما استطاع العثمانيون بعد ذلك الاستيلاء على « سواكن ومصوع » ثم التحالف مع الحبشة على أساس اغلاق الموانى الحبشية فى وجه البرتغاليين .

وهكذا فشلت محاولات البرتغاليين الصليبية فى تحرشاتها ضد الحرمين الشريفين ، ولم تنجح كسابقاتها ، وحفظ الله حرمه وحرم رسوله الأمين .

٣ — العثمانيون والحرمان الشريفان :

تولى العثمانيون حماية الحرمين فى عام ٩٢٣هـ بعد أن أعلن الشريف بركات أمير مكة المكرمة قبوله دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية ، وارساله مع ابنه « ابونمى » مفاتيح الكعبة الشريفة وبعض الآثار النبوية الى السلطان سليم بالقاهرة بعد فتحه لمصر ، ونتيجة لذلك تم دخول الحجاز دخولا تلقائيا وسلميا تحت السيادة العثمانية ويبرز الطابع الدينى فى اهتمام الدولة العثمانية باقليم الحجاز الذى أضفت تبعيته اليها مركزا دينيا مرموقا فى جميع أنحاء العالم الاسلامى على أساس أنه يضم أهم الأماكن الاسلامية المقدسة ، وقيامها بالاشراف على قوافل الحجوتيسير أمورالحج

---

(٢٣) الشناوى : المرجع السابق حـ ١ ص ١٨٦ .

أمام الراغبين فيه وقيامها بالاهتمام بالطرق وحفر الآبار واقامة المخافر على الطرق الموصلة الى مكة[٢٤] ، هذا الى جانب قيام السلطان سليم باقرار عدة امتيازات لاقليم الحجاز وهو لا يزال بالقاهرة ، وقد سار على نهجه سلاطين العثمانيين الذين تربعوا على عرش الدولة من بعده ، وعملوا على دعم هذه الامتيازات التى كان منها الاعفاء الضريبى ، فكان الحجاز لا يقدم جزية سنوية للدولة بل كان يتلقى اعتمادات مالية ضخمة كل عام ، يضاف الى ذلك أن أهل الحجاز تمتعوا بالاعفاء من الخدمة العسكرية .

والى جانب ذلك اهتم سلاطين الدولة العثمانية بابراز لقبين دينيين من ألقابهم العديدة هما لقب « حامى حمى الحرمين الشريفين » و « خادم الحرمين الشريفين » وذلك تأكيدا للزعامة الدينية للدولة العثمانية على العالم الاسلامى[٢٥] .

كما اهتم السلاطين العثمانيون بعمارة الحرمين الشريفين

---

(٢٤) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين مقال للدكتور الصفصافى المرسى تحت عنوان « قوافل الحج فى الدولة العثمانية » ص ٦٣ — ٦٤ .

(٢٥) الشناوى : المرجع السابق حـ ١ ص ٦٤ — ٦٦ ، ولتفاصيل ذلك انظر محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثمانى حـ ١ بيروت ، دار صادر ١٣٣٤هـ / ١٩٣٥م ص ١٣٤ .

والقيام بعمل بعض الاصلاحات والترميمات فيها ففى عام ٩٦٠ هـ غير السلطان سليمان القانونى سقف الكعبة ، وفى عام ٩٧٩هـ أمر السلطان سليم خان الثانى ببناء العديد من القباب، وتجديد أبنية المسجد الحرام تجديدا كاملا[٢٦] ، كما اهتم السلطان أحمد بترميم الكعبة ، وفى عام ١٠٣٩ أمر السلطان مراد باعادة بناء الكعبة وذلك أثر حدوث سيل كبير أصاب مكة ودخل المسجد الحرام وانهالت مياه الأمطار الى داخل الكعبة[٢٧] ، فأرسل السلطان مراد المهندسين والعمال لتشييد ما تصدع من أجزاء الكعبة واستمر العمل فى ذلك ستة شهور[٢٨] .

يضاف الى ذلك ان السلطان عبد الحميد الثانى أمر فى عام ١٣١٤هـ بتعمير المسجد الحرام ، كما قام بذلك أيضا السلطان محمد رشاد فى عام ١٣٢٧هـ[٢٩] حتى بلغ ما انفقه

---

(٢٦) السيد ابو الفضل : مكة فى عصر ما قبل الاسلام ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ص ١٢٤ .

(٢٧) محمود الشرقاوى : مكة المكرمة ص ١٥٦ ، وانظر أيضا وتموت الفتنة ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢٨) الخربوطلى : تاريخ الكعبة ص ١٧٢ .

(٢٩) سيد عبد المجيد : اشهر المساجد فى الاسلام حـ ١ ، جدة ١٤٠٠هـ ص ٢٦ — ٢٩ .

العثمانيون على العمائر فى المسجد الحرام ما يقارب المئة ألف جنيه عثمانى[٣٠] .

أما عن المسجد النبوى الشريف فقد اهتم العثمانيون بعمارته وأبرز الأدلة على ذلك ما يحمله المسجد حتى الآن من آثار تمثل فن العمارة العثمانية[٣١] والى جانب ذلك فانه انطلاقا من ادراك العثمانيين لأهمية ولاية الحجاز ، وتيسيرا لأداء فريضة الحج انبثقت فكرة مشروع سكة حديد الحجاز لازالة ما كان يواجهه الحجاج من صعوبات كثيرة فى ذهابهم وايابهم[٣٢] .

ومع ان الحرمين الشريفين فى ظل الحكم العثمانى تمتعا بالهدوء والامن لفترة ليست بالقصيرة فان ذلك لم يمنع من حدوث بعض الفتن التى عكرت الامن وروعت الحجيج ومن ذلك نذكر :

---

(٣٠) احمد السباعى : تاريخ مكة حـ ٢ ، مكة المكرمة ، نادى مكة الثقافى ، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ ص ٤٧٧ .

(٣١) لتفاصيل ذلك انظر : صالح لمعى : المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨١ ص ٧٥ وما بعدها .

(٣٢) احمد الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، الأردن ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ص ٥ .

١ — فى عام ٩٥٨ هـ حدثت بعض الخلافات بين محمود باشـا أمير الحج المصرى ، ووالى مكة أبو نمى ووصل بهما الامر الى درجـة الاحتكـاك المسلح وقيـام أمير الحـج المصرى بالدعـوة الى عـزل شريف مكـة ، ممـا أدى الى هيـاج الاعراب ومهاجمتهم للحجيج فى « منى » ، وعودة معظم الحجاج دون أن يؤدوا شعائر الحج[٣٣] .

٢ — فى رمضان ١٠٨١ هـ هـاجم رجل فارسى خطيب المسـجد الحرام وهو يخطب الجمعـة مستلا سيفه يـريد قتـله وهو يصيح بالفارسـية انه المهدى المنتظر ، فحـال المصـلون دونه ، وتكاثروا عليه ، وأوسعوه ضربا حتى وقع مغشـيا عليه ثم سحبوه حتى انتهوا به الى ناحية فى المعلاة فأوقدوا فيه النار وأحرقوه [٣٤] .

٣ — فى شـوال ١٠٨٨ هـ اتهم الناس بعض الحجاج الشيعة بتلطيخ الكعبـة وتلويثها بالقاذورات ، ونتيجة لذلك حدثت مصـادمات داخل الحرم بين الاتـراك المجـاورين والحجاج وبين بعض الشيعة ، وقتل بعض الاشخاص رميـا

---

(٣٣) وتموت الفتنـة ص ٤١ .

(٣٤) السباعى : المرجع السابق ص ٣٧٧ .

بالحجارة وضربا بالسيوف ، كما اخرج الاتراك الحجاج الشيعة الى باب السلام وقتلوا العديدين منهم (٣٥) .

٤ — فى عام ١٢٠٣ هـ وبينما كان الشيخ عبد السلام الحرشى خطيب المسجد الحرام يخطب فوق المنبر تعرض له حاج من البنغال وضربه بسكين أخرج بها أمعاءه فسقط ميتا وعندئذ ثار المصلون فى ضجة عظيمة ثم مالبث أن تقدم أحد العلماء فأتم الخطبة واقيمت الصلاة وهدأ الاضطراب ، وسيق الجانى الى حيث حكم عليه بالاعدام شنقا (٣٦) .

٣ — وفى عام ١٢٠٤ هـ حدث نزاع بين الشريف غالب بن مساعد شريف مكة واخيه الشريف سرور ، وتطور الامر الى قيام بعض الغلمان التابعين لابن الشريف سرور باقتحام المسجد الحرام ببنادقهم واطلاقهم النيران من داخله ، ونظرا لتفاقم الموقف اعتصم الناس فى بيوتهم

---

(٣٥) السباعى : المرجع السابق ص ٣٨٤ .
ويرى دحلان أن الكعبة لم تلوث بالقاذورات وانما بنوع من أنواع الخضروات عجن بعدس وادهان معفنات فصارت كريهة ، انظر خلاصة الكلام ص ٩٧ .

(٣٦) زينى دحلان : المرجع السابق ص ٢٢٦ تحت عنوان « ذكر قتل الخطيب » والسباعى : تاريخ مكة ص ٤٤٩ .

وجرد الشريف غالب بعض جنده لتطهير المسجد الحرام من معارضيه فخرجوا من المسجد ، ودارت الحرب بين الطرفين وانطلقت الطلقات النارية حول المسجد مدة أربعة أيام بلياليها ، وانقطعت الصلوات الخمس فى المسجد الحرام ، وتوقف الطواف به تماما ، وانتهى الامر بتملك الشريف غالب لزمام الامور (٣٧)

وخلال تلك الفترة وبالتحديد فى عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م تزايدت بوادر المخاطر على الحرمين الشريفين حيث جاءت الحملة الفرنسية على مصر وبات خطرها يهدد منطقة الحجاز، مما جعل الشريف غالب يرسل الى بونابرت يسالمه ويصالحه حتى يأمن شره ، ويبعد ضرره (٣٨) .

ومع ان بونابرت حاول ازالة مخاوف شريف مكة كما حاول توطيد علاقته معه (٣٩) ، ونفى الشائعات التى تقول انه يريد القضاء على الدين المحمدى وارغام المسلمين

---

(٣٧) وتموت الفتنة ص ٤٢ .

(٣٨) سيد مصطفى سالم : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر القاهرة ١٩٧٥ ص ١٢٨ .

(٣٩) عن كتابات بونابرت الى شريف مكة انظر محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ص ٩٩ .

على اعتناق المسيحية فان المخاوف من ضرره على الحرمين ظلت مستمرة خصوصا بعد أن قام جنوده بدخول الأزهر بخيولهم وحطموا قناديله وقتلوا المصلين ؛ وجعلوا منه اصطبلا لخيلهم يضاف الى ذلك أن أعداء الاسلام بعد استيلائهم على العديد من بلدان العالم الاسلامى أخذوا يتنبهون لاهمية الدور الناتج عن أداء فريضة الحج . نظرا لاجتماع أكبر عدد من مسلمى العالم فى مكة المكرمة ومدى تأثير ذلك على مصالحهم الاستعمارية . فبدأوا فى الكيد للمسلمين ، وحاولوا وضع العقبات أمام تأديتهم لفريضة الحج ، وابرز الامثلة على ذلك محاولة الانجليز تعطيل قوافل الحج أو التقليل من عدد المشاركين فيها على الاقل باسم الاحتياطات الصحية تارة ؛ وبرفع الضرائب على المشاركين فى الحج تارة أخرى . وتعطيل السلطات الفرنسية فى شمال افريقيا لقوافل الحج فى اعوام ١٨٩٩م ١٩٠٠م ، ١٩٠١م ، وقيام روسيا بمنع رعايا المسلمين فى عام ١٩٠٢م من أداء فريضة الحج[٤٠] .

والى جانب هذه الاحداث فلم يسلم الحجيج فى العصر العثمانى من اعتداءات العربان عليهم نتيجة لاختلال

---

(٤٠) أحمد الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، الزرقاء ، الأردن ، مكتبة المنار ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ١٨٠ .

الامن هذا بالاضافة الى وعورة الطرق ، وقلة الماء وصعوبة وصول الزاد لدرجة ان الحجاج اذا خرجوا من بلادهم للحج كان أهاليهم يعدونهم فى عداد المفقودين ، فكثيرا ما كانت الام تفقد ولدها ، والزوجة زوجها ، والولد أمه ، والزوج زوجه ، والغنى ماله ، والفقير ثيابه ، ويؤكد ذلك المثل الذى كان يتردد على افواه الناس فى ذلك الوقت « الذاهب الى الحج مفقود والعائد مولود » .

وقد نظم أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة صور فيها ما كان الحجاج يعانون من تصدى العربان لهم ، والمظالم التى مارسها قطاع طريق الحجيج . وقد وجه شوقى قصيدته الى السلطان عبد الحميد . وقال فيها :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الامم

قد مسها فى حماك الضر فاقض لها
خليفة الله أنت السيد الحكم

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا
ان أنت لم تنتقم فالله منتقم

أفى الضحى وعيون الجند ناظرة
تسبى النساء ويؤذى الاهل والحشم

ويسفك الـدم فـى أرض مقدسـة
وتستبـاح بهـا الاعـراض والحرم

* * *

خليفـة الله شـكوى المسـلمين
رقت للـه .. هـل ترقى لك الكلم ؟

ونتيجة لذلك علا ضجيج المسـلمين بالشـكوى الى السلطان العثمـانى يطالبونه بارسـال القوات على طـريق الحج كل عام لحفظ أمن الحجيج من عبث العابثين ، وظـلم الظالمين ، وحتى لا ينقض عليهم الاعـراب سـلبا ونهبـا وقتلا ، ويسومونهم سـوء العذاب (٤١) ..

على الرغم من أن أبرز مهـام الدولة العثمـانية كانت تقتضى تأمين المحـافظة على أمن الحجيج ، وتـأمين طـرق الحج ، فان العثمـانيين فى أواخر عهـدهم عجزوا فى كثير من الاحيـان عن الاضطـلاع بهذه المهام .

واسـتمرت الامور على هـذا المنوال حتى قامت ثورة الشريف حسـين بن على ضـد الاتراك فى ٩ شعبان ١٣٣٤هـ

---

(٤١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحـج ومشـاعره الدينيـة ، المجـلد الثـانى ، القـاهرة ص ٧٧ — ٧٨ .

٥ يونيو ١٩١٦م وبدأ رجاله فى حصار الجنود العثمانيين بمكة بهدف اخراجهم منها ، وخلال دفاع الاتراك عن مواقعهم بدأوا فى ضرب مكة من قلعة « أجياد » بالمدافع فاشعلوا النيران فى عدة مساكن ، كما أصيب البيت العتيق بقنبلتين من قنابل مدافعهم فوقعت أحداهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع ، والتهبت النيران فى أستار البيت ، ونتيجة لذلك هرع ألوف المسلمين لاطفاء هذه النيران ، وفتح باب البيت العتيق وصعد الاهالى الى سطحه حتى يتمكنوا من اطفاء اللهيب ، وما أن انطفأت النيران حتى القى الاتراك بقنبلة ثالثة بالقرب من مقام ابراهيم(٤٢) .

وبذلك انتهكت مدافع الاتراك حرمة الكعبة والمسجد الحرام مما أساء لموقفهم أمام المسلمين ، وجعل العالم الاسلامى ينقم عليهم ويؤيد ثورة الشريف حسين ضدهم(٤٣) .

---

(٤٢) أحمد عبد الغفور عطار : الكعبة ص ١١٥ — ١١٦ .

(٤٣) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة المجلد الأول مكة المكرمة ، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٥٤٥ .

وعلى الرغم من استهجاننا لما حدث ، فمن المعتقد أن الجنود الاتراك اخطأوا المرمى ، ولم يقصدوا اصابة الكعبة ، وكيف لا وهم مسلمون ويتجهون فى صلواتهم الخمسة اليها .

ومما سبق يتضح أن العثمانيين اهتموا خلال فترة قوتهم بأمور الحجاز ، والاشراف على قوافل الحج التى كانت تخرج من كافة انحاء العالم الاسلامى الى الاراضى المقدسة أما فى الفترة الاخيرة من حكمهم فقد أهملوا شئون الحجيج لدرجة أن الحجيج كانوا لايأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من شرور العابثين قطاع الطرق .

الدولة السعودية الأولى والحرمان الشريفان :

بعد أن اشتدت شوكة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأوجدت فزعا لدى معارضيها وحاولوا مناهضتها والاساءة اليها فشنوا عليها حربا نفسية وفكرية لاهوادة فيها بهدف ابعاد المسلمين عنها ؛ وايغار صدورهم ضدها فذكروا أن اتباع الدعوة بعد وصولهم الى مكة روعوا الحجيج ، وأنهم عطلوا سبل الحج الى الحرمين الشريفين ،

وانه من الواجب التخلص من هـذه الدعوة استنقاذا للاماكن المقدسـة من سيطرتهم(٤٤) .

والحقيقـة غير ذلك ، والصحيح هـو أن الأمير سعود ابن عبد العزيز عندما تمـكن من دخول مكة فى عام ١٢١٧هـ انتظر حتى قضى الحجـاج مناسـكهم وعادوا الى بـلادهم وبعدها دخل مكة محرما ومعه جنده فى الثامن من محـرم ١٢١٨ هـ وهم رافعون أصـواتهم عاليا بالتلبيـة والتكبير والتهليل ، خافضين رؤوسـهم من خشـية الله . ثم اجتمـع الامير سـعود مع الناس بعد ذلك فى الحرم ودعـاهم الى التوحيد (٤٥) .

يضـاف الى ذلك ان اتبـاع الدعـوة لم يمنعوا أحدا من الحج الا اذا كان مخـالفا للطرق الشرعية والتعـاليم

---

(٤٤) مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المجلد الأول رجب ١٤٠٩هـ مقال للدكتور عبد المنعم الجميعى بعنـوان « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابات المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى » .

(٤٥) حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد عبد الوهاب ، بيروت ص ٣٧٦ — ٣٧٧ .

الاسلامية الصحيحة ، وقد أكد ذلك المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى بقوله « والحال ليس كذلك فانه لم يمنع أحدا يأتى للحج على الطريقة المشروعة وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل الزمر وحمل الأسلحة » وضرب مثلا بالحجاج المغاربة الذين اتبعوا الطرق الشرعية أثناء الحج فلم يعترضهم أحد فقال « حجوا وقضوا مناسكهم دون أن يعترض لهم أحد بشىء » (٤٦) .

كما أضح الجبرتى أن اتباع الدعوة لم يمنعوا قوافل الحجيج التى يتبع أصحابها البدع والطبل والزمر فجأة(٤٧) ، بل أعطوا لأصحابها الفرصة ، ونصحوهم بنبذ هذه العادات داخل الاماكن المقدسة فى المرات القادمة

---

(٤٦) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار حـ ٤ ص ٩٠ تحت عنوان « واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة ١٢٢٣ هـ »

(٤٧) اكد ذلك المؤرخ الأمريكى لوثروب ستودارد موضحا ان ابن سعود لم يمنع قافلة الحج الشامى بل طلب من أميرها عبد الله باشا والى الشام أن يدخل الى مكة ، ويقضى مناسك الحج هو وأصحابه .

انظر : حاضر العالم الاسلامى حـ ٤ — ترجمة عجاج نويهض ص ١٦٣ .

فذكر فى خـلال حديثه عن المحمل المصرى وما يصبحبه من طبـل وزمر أن اتبـاع الدعوة قالوا للمسـئولين عن المحمل « لا تفعلوا ذلك ولا تاتوا به بعد هذه المرة » وحذروهم من تكرار ذلك (٤٧) .

ونظرا لتـكرار هذه المخـالفات فى قافلة الحج الشامى ومخـالفه اصحابها للشـروط التى اشترطها عليهم اتبـاع الدعـوة واصرارهم على استعمـال الطبل والزمر والاسلحة فقد رد اتبـاع الدعـوة على ذلك بأنهم أرسلوا لامير هذه القـافلة يقولون له « لا تأت الا على الشروط التى شرطناها عليك فى العـام الماضى » ولما سـمع بذلك رجع بالقـافلة من غير حج لاصراره على اتبـاع الطريقة التى تتعارض مع الاسلام الصحيح (٤٨) .

والواقع أن اتبـاع الدعـوة لم يمنعوا أحدا من تأدية شـعائر الحج فى أى وقت من الاوقـات خصـوصا وان تمسـكهم بأركان الاسـلام التى من بينهـا حج بيت الله الحـرام ، ورغبتهم فى احيـاء المبادىء الاسلامية الصحيحة

---

(٤٧) الجبرتى : المصدر السابق حـ ٤ ص ٥٤ تحت عنـوان « واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢هـ » .

(٤٨) الجبرتى : المصدر السابق حـ ٤ ص ٥٣ .

تجعل من الصعب اتهامهم بذلك ، وربما تكون ظروف الحرب بين الدعوة وخصومها هى التى ساعدت على ترويج هذه الشائعات ، ويبدو ذلك واضحا فى انه بعد ان استقرت الامور لرجالات الدعوة تأكدت سلامة الحج وتأدية المناسك.

يضاف الى ذلك انه عندما اشتدت شوكة الدعوة وانتشرت وازداد اتباعها خشى أصحاب المنافع من البدع والأباطيل على مصالحهم فأخذوا فى اثارة القلاقل وبث الدعايات المغرضة ضدها ، واستنجدوا بالسلاطين العثمانيين بحجة قيام انصار الدعوة بالاستيلاء على ما فى الحجرة النبوية الشريفة من مجوهرات وأموال وتحف .

والحقيقة أن هذه الاشياء « وضعها سخاف العقول من الاغنياء من الملوك والسلاطين الاعاجم وغيرها اما حرصا على الدنيا ، وكراهة أن يأخذها من يأتى بعدهم، أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ، ودفع الاعداء فلما تقادمت عليها الأزمنة .. ارتسم فى الأذهان حرمة تناولها وانها صارت ما لا للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لاحد أخذها ولا انفاقها »[٤٩] .

---

(٤٩) الجبرتى : المصدر السابق حـ ٤ ص ٩٠ تحت عنوان « واستهل شهر ذى الحجة بيوم الثلاثاء ١٢٢٣هـ » .

وقد علق المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى على ذلك بقوله « والنبى عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك ، ولم يدخر شيئا من عرض الدنيا فى حياته ، وقد أعطاه الله الشرف الاعلى وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب ، واختاره أن يكون نبيا عبدا ولم يختر أن يكون نبيا ملكا »(٥٠) .

واستعان الجبرتى فى اثبات تعفف النبى صلى الله عليه وسلم وزهده فى الدنيا بما رواه الترمزى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما » فاذا جعت تضرعت اليه وذكرتك ، واذا شبعت شكرتك وحمدتك » (٥١) .

كما ذكر موضحا بأنه اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد منع بنى هاشم فى حياته من تناول الصدقة، وحرمها عليهم فان كنز المال فى حجرته الشريفة ، وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين والمحتاجين أمر لا يوافق

---

(٥٠) الجبرتى : المصدر السابق حـ ٤ ص ٩٠ .

(٥١) الترمذى : باب الزهد ٣٥ وايضا تحفة الأحوزى بشرح جامع الترمذى حـ ٧ ص ١٢ — ١٤ .

عليه الرسـول صلى الله عليه وسلم ولا الشرع [٥٢] فليس فى الدين تقـديم الهدايا وتعليقهـا لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم . كمـا أن الدين يحـرم كنز الذهب والفضة ، ويامر بانفـاقها فى سـبيل الله . يضـاف الى ذلك أن الامام سعود كان قد استفتى علمـاء المدينة بصرف ما فى الحجـره الشريفة فى منفعة الاسـلام والمسـلمين فأفتوه بذلك موضحين انه ينبغى على ولى الامر اخراج المال الذى فى الحجرة ، وصرفه فى حـاجة أهل المدينة وجيران الحرم خصوصا وأن الحاجة والضرورة كانت قد اشتدت الى اخراج هـذا المـال وانفاقـه[٥٣] .

ومن هنـا كانت الاكاذيب التى رددها أعـداء الدعوة حول هذا الموضـوع للنيل منها ومن أصحابها ، قد فندتهـا الحقـائق ودحضتها .

---

(٥٢) الجبرتى : المصدر السابق حـ ١ ص ٩١ .

(٥٣) محمد اديب غالب : من اخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى . الرياض ، دار اليمامـة للبحث والترجمـة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ١١٣ .

الحرمان الشريفان بعد قيـام المملكة العربية السعودية:

بعد تأسيس المملكة العربية السـعودية على يد الملك عبد العزيز آل سـعود فى عام ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م عاد الامن والامان الى الحرمين الشريفين ، وأصبـح الحاج يأمن على نفسـه من اللصـوص والاعـراب ، وينـام فى عـرض الصحراء لا يمنعه باب ولا يحميه حارس ولا يخـالط نفسـه خوف ولا جزع (٥٤) ونعم الحرمان بالعمارة والتوسعـة والصيـانة والخدمة (٥٥) وأصبحت هذه البلاد قبلة المسلمين ومحط قلوبهم كمـا أصبحت معقل الدين (٥٦) ، وشعر العالم الاسـلامى بتحمل المملكة العربية السعودية لهذه المسئوليـة

---

(٥٤) رابـح لطفى جمعـة : حـالة الأمن فى عهـد الملك عبد العزيز ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٧٧ .

(٥٥) لتفاصيل ذلك انظر :

سيد محمد ابراهيم : تاريخ المملكة العربية السعوديـة ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٣هـ ص ٢٧٤ ، وأيضـا محى الدين القابسى : فهد فى صور ، الرياض ، المطابع الأهليـة ، ١٤٠٤هـ ص ٢٥٨ .

(٥٦) ابو الحسن الندوى ، كيف ينظر المسلمون الى الحجاز وجزيرة العرب ، دار الاعتصام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ ص ٣٢ .

العظيمة وقدرتها على حماية الحرمين الشريفين ، ولكن رأس الفتنة القرمطية لم تلبث أن ظهرت من جديد فى محاولات يائسة لامتهان حرمة الاماكن المقدسة وفيما يلى نعرض للاعتداءات على الحرمين الشريفين خلال العهد السعودى

حادث الطائف ذى الحجة ١٣٥٣ هـ :

فى صباح الجمعة العاشر من ذى الحجة ١٣٥٣هـ وحال نزول الملك عبد العزيز آل سعود من منى الى مكة ليؤدى فروض ربه ويصلى صلاة عيد الاضحى المبارك ويطوف طواف الافاضة فى بساطته المشهورة ، وبينما هو فى الشوط الرابع من الطواف وعلى يساره البيت الحرام وخلفه ابنه الأكبر سعود مع رجال حاشية ورجال الشرطة(٥٧) فاذا برجل يخرج من الفجوة الشامية لحجر اسماعيل وقد استل خنجرا ، وصاح صيحات منكرة ، واندفع نحو الملك الذى كان قد فرغ لتوه من تقبيل الحجر الأسود(٥٨) فتصدى له الشرطى أحمد بن موسى العسيرى الا أن الرجل عاجله بطعنة من خنجره كانت فيها حتفه فوقع على صحن

---

(٥٧) محمد طاهر المكى : مقام ابراهيم ص ٧٥ .

(٥٨) وتموت الفتنة ص ٤٥ .

المطـــاف يتضرج دمه على أقدس بقعة فى الأرض[٥٩] ثـــم تصـــدى له جندى آخر فوقع له ما وقع لرفيقه[٦٠] وخلال ذلك عاجل « عبد الله البرقاوى » من الحرس الخاص للملك المجرم الاول بطلقـــة أردته لفوره [٦٢] ، كمـــا عاجل الحارس « خير الله » الحـــارس الخاص للامير ســـــعود المجـــرم الثانى برصاصة طرحته صريعا • ثم خرج أيضـــا من الحجر مجرم ثالث واتجـــه من ناحية الركن اليمـــانى الى الحجـــر الاســـود للاشتراك فى الجريمة ، ولما رأى ما حل برفقـــائه حـــاول الهرب ، واطلق ساقيه للريح فرارا ، ولكن رصـــاص الشرطة أدركه فســـقط صريعا بالمسجد الحرام جهة بـــــاب ابراهيم [٦٣] •

وقد أمر الملك عبد العزيز باغـــلاق أبواب الحرم ، وعاد الى اتمـــام طوافه ، كأنه لم يكن هنـــاك شىء وخـــرج بعد

---

(٥٩) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجـــزيرة ، المجـــلد الثانى حـ ١ بيروت ص ١١٧٢ .

(٦٠) المكى : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٦١) خير الدين الزركلى : شـــبه الجـــزيرة فى عهد الملك عبد العزيز حـ ٢ بيروت ؛ دار العلم للملايين ، الطبعة الثانيـــة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ٦١٩ .

(٦٢) عطار : المرجع السابق ص ١١٧٢ .

(٦٣) المكى : المرجع السابق ص ٧٦ .

الشـــوط السابع مسرعا الى منى قبيل انتشار الخبـــر الى الحجيج [٦٤] وحرصا على سلامة الحجاج وخاصة اليمنيين لأن هؤلاء المعتدين كانوا من اليمنيين الزيديين ، ولولا سرعة تدارك الموقف لعـــكرت هذه الحادثة صفو الحجيج ، وأودت بهم الى كارثة مخيفة [٦٥] ولولا حكمة الملك فى هذه المسألة لعظم الخطب واشتدت الفتنة [٦٦] .

وعلى كل حـــال فقد اظهر العـــالم الاسلامى تضـــامنه مع مؤسس المملكة وأعلن استنكاره للحـــادث مما أوضـــح تكاتف المســـلمين والعرب واتحـــادهم وتعاضدهم خـــلال المحن ، كما أعطى المثل الأعلى على احترام المسلمين لحرمات البيت العتيق ، ورغبتهم فى صيـــانة هذه البـــلاد المقدســـة وجعلها مثابة للناس وأمنـــا [٦٧] .

كما وصل المهنئون من كل مكان لتهنئة الملك على قدرتـــه فى معـــالجة الموقف ، وقد قال مؤسس المملكة لمهنئيه انـــه

---

(٦٤) الزركلى : شبه الجزيرة حـ ٢ ص ٦١٩ .

(٦٥) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، المجلد الثانى ، دار الكاتب العربى ص ٣٨٩ .

(٦٦) المكى : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٦٧) محى الدين الثايسى (اعداد) المصحف والسيف — مجموعة من خطابات وكلمات واحاديث ومذكرات الملك عبد العزيز الرياض : دار الناصر ، الطبعة الثانية ص ٢٨٠ .

لا يهمه الا اقـامة كلمة التوحيد .. ولم يكن همه غير المحافظة على الحجـاج ، ومنع تسـرب أخبار الحادث الى خـارج الحرم وانه أمر باغـلاق أبواب الحرم ، ومنع سفك الدمـاء فيـه (٦٨) .

والواقع أن هؤلاء البغاة المفسدين الذين ابتغوا الفتنة فى الحج واقدموا على هذا العمل غير المسئول فقـدوا كل معانى الاخـلاق والانسـانية ، وليس فيهم دين يمنعهـم ولا شـهامة تردعهم ، فقد اعتدوا على حرمة الدين وبيت الله الحرام واليـوم الحرام والشـهر الحرام فى البلـد الذى شرفه الله تعالى بالحـرمة ، والمكان الذى يتجـه اليه أبناء الاسـلام بابصارهم وتهفو اليه قلوبهم .

جريمة الاعتداء على البيت الحرام فى غرة المحرم ١٤٠٠هـ

فى يوم الثلاثاء أول أيام شهر محرم من عام ١٤٠٠هـ تسللت زمرة تعتنق افكارا دينيـة متطرفة الى المسجد الحرام ومعهم بعض الأسلحة والذخيرة ولم يكد الامـام ينتهى من صلاة الفجر حتى قام بعض أفراد هذه الزمرة بالادعاء أن من بين أفرادها المهدى المنتظر وطالبت المصـليين تحت وطـأة السـلاح بمبايعته والاعتراف به بهذه الصفة ، وهـددوا كل

---

(٦٨) عطار : صقر الجزيرة حـ ٦ ص ١١٧٣ .

من لم يستجب لمطالبهم كما قام أحد أفراد هـذه المجمـوعة بالقاء خطاب تحدث فيه عن المهدى وعلاماته المميزة[٦٩] .

وفى نفس الوقت قامت مجموعة من هـؤلاء باغـلاق أبواب الحرم من الداخل والانتشار حـول أبوابـه المغلقة ، وقامت مجموعة أخرى بالصعود الى منائر الحـرم والتوزع على أروقته واطلاق النار على شرطة الحـرم[٧٠] مما أفزع المصلين وروعهم .

وعن أهداف هذه الفئة فقد انحصرت فى انتهاك حـرمة المسجد الحرام ، وترويع المؤمنين الآمـنين ، وسـفك دمـاء الأبرياء ، وتتويج أحدهم مهديا خروجا على الدين الاسلامى والغلو فى تفسير العقيدة الاسلامية ومحاولة وضعها فى غير اطارها الصحيح وبذر بذور الفتنة والضـلال وبث الفوضى والاضطرابات وتفريق كلمـة المسلمين هـذا بالاضـافة الى تحريمهم للراديو والتلفزيون[٧١] .

---

(٦٩) جريدة الندوة : ونموت الفتنة ، جدة ، دار تهامـة ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ص ١٠٣ .

(٧٠) من حديث ولى العهد عن الفتنة وابعادها لمجلة الوطن العربى نقلا عن « وتموت الفتنة » ص ٦٠ — ٦٢ .

(٧١) من حديث الأمير نايف فى المؤتمر الصحفى الذى عقد بقاعة المحاضرات بوزارة الداخلية فى ٢٥ صفر ١٤٠٠هـ .

وحسما للموقف بطريقة شرعيـــة طلب الملك خـــالد بن عبد العزيز رأى المشايخ فى معالجة هذه الفتنة ، فأصدر علماء المملكة فتوى شرعية تحدد طبيعة التعامل الشرعى مع هـــذه الشرذمة التى انتهكت حرمة البيت العتيق وروعت زواره وذلك بدعوتهم الى الاستسلام ووضع السلاح فان فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر فى أمرهم شرعا ، وان امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو أدى الى قتـــالهم امتثـــالا لقوله تعالى « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » .

ونتيجة لذلك طلب المسئولون من الفئة المضللة عبر مكبرات الصوت وقبل البدء فى اقتحـــام الحـــرم أن يلقوا الســـلاح ويستسلموا فى مقابل تأمينهم على حياتهم ، كما وجه اليهم الشيخ « عبد الله بن حميد » رئيس مجلس القضاء الأعـــلى كلمة بين لهم فيها خطأ ما ارتكبوه وطالبهم بالاستســـلام حتى يحقنوا دماءهم ودماء المسلمين ولكنهم لم يستجيبوا وأصروا على القتال حتى آخر لحظة وبـــدأوا يطلقون النار خـــارج الحرم وقتلوا الأبرياء حتى رجال الاســـعاف لم يسلموا من

---

(٧٢) عن فتوى أصحاب الفضيلة العلماء فى المملكة انظر : وتمرت الفتنة ص ٢٠٩ — ٢١١ .

(٧٣) من حديث الأمير نايف السابق ذكره ص ٨٦ .

أذاهم • ومن هنا كان لابد من استعمال القوة لتخليص الحرم من مخاطرهم ، فحاصرت مختلف قوى الأمن المسجد الحرام والطرق المؤدية اليه حتى لا يتمكن أحد من المعتدين من الهرب •

ونتيجة لهذ ه الأحداث المروعة فقد صدرت الأوامر المبنية على الفتاوى الشرعية بتنفيذ حكم الله فى هذه الفئة الباغية التى اعتدت على بيت الله الحرام وحرمات المسلمين ومعاقبتها بما تستحق واعادة الأمن الى بيت الله الحرام •

وكان هدف المسئولين فى المملكة من بداية الفتنة تنحصر فيما يلى :

١ — المحافظة على بيت الله الحرام من التهدم أو الاصابة بأى أضرار •

٢ — المحافظة على أرواح المسلمين الموجودين داخل الحرم من المصلين والطائفين •

٣ — القبض على الأفراد المعتدين على حرم الله احياء بقدر الامكان •

٤ — التقليل من الخسائر عند اقتحام المسجد الا فى حالة الضرورة[٧٥] .

وفى نهاية الأمر تمكنت قوى الأمن السعودية من استخلاص المسجد الحرام من مغتصبيه بعد أن تتابع رجالها من كافة الأسلحة يطلبون الشهادة ونجحت فى تحقيق أهدافها كاملة حيث تم انقاذ الأبرياء وصيانة الحرم المكى وتخليصه من هذه الفئة غير المسئولة بالاضافة الى القبض على ١٧٠ فردا منهم أحياء لاستجوابهم ومحاكمتهم على جرائمهم البشعة التى ارتكبت فى بيت الله الحرام ، وفى الشهر الحرام وفى اليوم الحرام ، وفى الساعة الثانية من فجر الثلاثاء ١٥ محرم ١٤٠٠هـ أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية تطهير المسجد الحرام من جميع أفراد الطغمة الفاسدة الخارجة عن الدين[٧٥] .

كما أعلن عن أسر أبرز زعماء هذه الفئة وهو « جهيمان بن يوسف العتيبى » بعد القبض عليه مختفيا فى أحد الأقبية المنعزلة بالمسجد ، وقتل « محمد بن عبد الله القحطانى »

---

(٧٤) حديث الأمير فهد بن عبد العزيز عن فتنة المسجد الحرام الى مجلة النيوزويك الأمريكية .

(٧٥) وتموت الفتنة ص ١٢١ .

الذى زعم انه المهدى المنتظر أثناء اقتحام معاقل الزمرة الضالة فى قبو المسجد الحرام(٧٦) .

والسؤال المطروح من أين حصلت هذه الفئة المضللة على السلاح ؟

الواقع أن المعتدين دخلوا الحرم بسلاح يتكون من بنادق ورشاشات تشيكية الصنع تسربت الى المملحه من حرب اليمن عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م وبعضها من حرب لبنان كما كان بعضهم يحمل مسدسات وبنادق صيد(٧٧) .

وقد اتضح من التحقيقات ان هذه الجريمة ليس لها أى مضمون سياسى بل انها حدثت من أفراد خرجوا عن حقيقة الدين الاسلامى فى اطار اجرامى كما اتضح ان هذه المجموعة كانت مكونة من سعوديين ومصريين وكويتيين ويمنيين وباكستانين ومغاربة(٧٨) .

---

(٧٦) وتموت الفتنة ص ١٣٢ .

(٧٧) من حديث الأمير نايف بن عبد العزيز خلال الندوة التى أقامتها جامعة الرياض مساء الثلاثاء ١٤٠٠/٢/٢٠هـ بخصوص الفتنة فى المسجد الحرام .

انظر : وتموت الفتنة ص ٧٢ ، ٧٥ .

(٧٨) وتموت الفتنة ص ١٢٢ .

وبعد انتهاء التحقيقات تم فى صباح الأربعاء تنفيذ حكم الاعدام فى عدد ٦٣ من أفراد الفئة الباغية التى اعتدت على المسجد الحرام فى غرة شهر المحرم ، وقد نفذ الحكم فى عدد من مدن المملكة .

أما الذين كان جرمهم أقل من هؤلاء فكانه جزاؤهم السجن لمدد متفاونة حسب جريمة كل منهم(٧٩) .

وفى مساء يوم الخميس ١٧ محرم عام ١٤٠٠ قام الملك خالد بن عبد العزيز بالطواف بالكعبة المشرفة وفتح المسجد الحرام للمصلين بعد تطهيره من المارقين ودخلته ألوف المسلمين مهللين مكبرين .

وخلال هذه المحنة وقفت الشعوب الاسلامية قلبا واحدا بجانب المملكة وأعلنت عن استنكارها واستهجانها ومقتها لعمل تلك الفئة الظالمة التى روعت أمن البلد الذى شرفه الله بالحرمة ، والبيت التى عظم الله أمره وجعله مثابة للناس وأمنا(٨٠) .

---

(٧٩) عن الأحكام وتنفيذ الاعدام . انظر وتموت الفتنة ص ٢١٧ — ٢٢٢ .

(٨٠) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين ، القاهرة هجر للطباعة والنشر ١٩٨٧ ص ٩ ، ١٠ .

والجدير بالذكر أن هـذا اللون من التطرف الـديني ليس بجـديد على التـاريخ الاسـلامي ولا تاريخ البشريه وان هـذه الفتنه ليسـت الفتنة الأولى عن المهدى فقد اطلق المختار بن أبى عبيد الثقفى لقب المهدى على محمد بن الحنفية وبقيت هـذه الفـكرة بعد هـلاك المختـار حيث تلقفهـا الشـيعة والعباسيون والاسماعيليون والخـلفاء الفاطميـون والقرامطة الذين داهموا مكة وفتكوا بالحجاج فتكا ذريعا •

ولم يتوقف الامر على ذلك بـل ابتلى العالم الاسلامى بمدعى المهديـه فى العصر الحـديث مما جر على الاسـلام والمسـلمين العديد من النكبات والويلات[٨١] •

ومما سـبق يتضح أن هذه الطغمة غير المسـئولة التى حاولت تقويض أمن بيت الله الحـرام لم تتمـكن من تحقيق مأربها لان الله تعـالى يأبى أن يقوض آمن بيته وأمر عباده الصـالحين أن يطهروا بيته للطـائفين والركع السـجود ، وجعل الامن والاطمئنـان لمن يؤم هـذا المسـجد فى أى وقت • فعـاد الحرم المكى الشـريف آمنا مطمئنا بعد قطع دابر الشر والفتنـة •

---

(٨١) عن تفاصيل ذلك انظر ما كتبه ابراهيم الجبهانى تحت عنوان بحث فى امر المهدى المنتظـر ضمن كتاب وتموت الفتنـة ص ٢٧٢ — ٢٧٥ •

أحداث حج ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

فى يوم الجمعة السادس من ذى الحجة ١٤٠٧ هـ الموافق ٣١ من يوليو ١٩٨٧ م فجع المسلمون فى كل مكان بحادث جلل أدى الى حالة من الغضب والفزع بينهم فقد دبر اتباع خمينى مسيرة صاخبة امام ساحة الحرم المكى ثم طوروها عمدا الى شغب وهرج بغية احداث فتنة بين الحجيج الامنين ، وقام هؤلاء بتوزيع منشورات مهيجة للشر والفتنة بهدف تحويل الحج الى ساحة للصراع العاصف والتخطيط المبيت (٨٣) كما أوصدت هذه المجموعة منافذ الطرقات وعرقلت مسالك المرور ، وحالت دون تمكن الحجاج والمواطنين من مراعاة شئونهم ، وافسدت على الطائفين والقائمين عبادتهم فى المسجد الحرام (٨٣) .

واتجه الايرانيون الى الحرم حاملين لصور الخومينى هاتفين « خومينى أكبر » الله أكبر » كما رفعوا شعارات ليست من الاسلام فى شىء منها الهتاف بالبراءة من

---

(٨٢) الشرق : العدد ٤٢٧ فى السبت ٢ ربيع الأول ١٤٠٨هـ

(٨٣) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين : مقال للدكتور عبد الرحمن الصالحى تحت عنوان أحداث مكة والرأى العام المصرى ص ١٤٣ .

المشـــركين [٨٤] ومنهـــا محـــاولة نشر افكارهم المذهبيـــة والسياسية ، واثـــارة الفتنة ، وزعزعة الاستقرار بين ضيوف الرحمن [٨٥] يضاف الى ذلك حملهم للمدى والخناجر لترويع حجيج بيت الله الحرام .

وخشـــية من عـــواقب تطور الأمور التزمت الشـــرطة الســـعودية فى بداية الامر بضبط النفس ، تفـــاديا لوقـــوع مجزرة واحتراما لحجيج بيت الله الحـــرام ، وذلك بعـــدم الاحتكاك بالمســـيرة الايرانية ، وتحذير افرادها من مغبـــة تظاهرهم ، وضرورة توفير الهدوء للحجـــاج وهـــم يـــؤدون مناسكهم ولكن مدبرى الفتنـــة لم يقتنعوا بذلك بل أخـــذوا فى مهاجمـــة رجال الشرطة السعودية بالخناجر والســـكاكين التى كانوا يخفـــونها معهم ، كما بـــدأوا فى تحطيـــم بعض السيارات والمتـــاجر [٨٦] وتخريب كل ما يستطيعون تخريبه وأمام تصـــدى الشرطة لهم اندفعوا نحو الخلف بجمـــوعهم المكثفـــة .

---

(٨٤) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين : مقال للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن تحت عنوان « الاعتداءات الصفوية على الحرم المكى » ص ٥٩ .

(٨٥) الشرق : العدد ٤٢١ فى ١٩ محرم ١٤٠٨هـ ص ١٩ .

(٨٦) احمد شلبى : حركات فارسية مدمرة ضد الاســـلام والمسلمين عبر العصور ص ٢٠٧ .

ووسط هذا الاحتكاك والتراجع سقط عدد من القتلى أكثرهم من النساء والاطفال والكهول الذين داسهم المتظاهرون .

ونتج عن ذلك مقتل ٤٠٢ شخصا منهم ٨٥ من رجال الامن والمواطنين السعوديين (٨٧) وجرح العديد من المتظاهرين (٨٨) .

وهكذا تسبب الايرانيون فى ازهاق ارواح بريئة على أطهر بقعة خلقها الله تعالى . والى أن تقوم الساعة ، واعادوا بذلك تاريخ القرامطة فى ظل تشجيع واغراء آيات ايران الذين أكدوا من خلال دستورهم أن المذهب الشيعى الاثناعشرى هو المذهب الرسمى لبلادهم فى محاولة لاحياء الفكر الصفوى بكل أبعاده واتجاهاته ، والذين كانوا التلاميذ النجباء لأحد علمائه وهو محمد باقر المجلسى شيخ الاسلام فى عهد الصفويين وصاحب موسوعة «بحار الانوار» والذى ينطلق فى تصوره الى ان الحج مناسبة سياسية هامة

---

(٨٧) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال للدكتور عبد المنعم النمر تحت عنوان « الحرم المكى بين قرامطة الأمس واليوم » ص٢٦ .

(٨٨) احمد شلبى : المرجع السابق ص ٢٠٧ .

دون مراعاة لحرمتها ، وهـو يؤكد ما ذهب اليه أحد الكتاب المعـاصرين من الشيعة الاسماعيلية والذى يفصح عن رأيهم فى أن تعظيم الكعبـة هو استمرار لعبادة الاصنام وان توجه المسـلمين للكعبة فى صلواتهم الخمس يعتبر من عبـادة الاوثـان .

ونتيجـة لهذا الموقف المأسـاوى الذى استهدف ضرب وحـدة المسلمين وانتهـاك حرمة بيت الله الحرام استنكرت الحكومات والشعوب الاسلامية ما أحدثه الحجاج الايرانيون من عبث وفـوضى ، ووقفوا يساندون جهود المملكة فى توفير ما يهيىء لجميع المسلمين سـبل الحج الى بيت الله الحرام بأمان وسـلام .

والجـدير بالذكر أن ما أحدثه الايرانيون من عـدوان على حرم الله قد خرج على نظم دولة تضطلع بمسـئولية خدمة الحرمين الشريفين وهى المملكة العربية السعودية وحاول انتهاك سيادتها ، وكان من مقتضى مسئوليتها أن تؤدب العابثين بحرمات الله خصوصا وانها مسئولة عن سـلامة مئـات الالوف من الحجاج فى العالم الاسلامى كله (٨٩) .

---

(٨٩) مؤتمر قدسية الحرمـين الشريفين مقـال للدكتـور عبد الله التركى تحت عنوان « قدسية الحرمين » ص ٩ — ١١ .

ولنا أن نتساءل هل كانت هذه هى المرة الاولى التى حاول فيها الحجاج الايرانيون تعكير صفو الحج الى بيت الله الحرام أم أن لهم سوابق اخرى ؟

والواقع أنه منذ قيام الثورة الايرانية ، واتباع خومينى يحاولون تعكير صفو الحجاج ففى عام ١٤٠٠ هـ قام بعض الحجاج الايرانيين بالاعتصام بالكعبة ، والهتاف ببعض الهتافات العدائية وفى عام ١٤٠١ هـ نظم الحجاج الايرانيون مظاهرة فى المسجد النبوى ، وحاول بعضهم التظاهر فى مكة المكرمة مما اضطر السلطات السعودية الى ابعاد مسئول الحج الايرانى « حجة الله موسوى » ومعه ١٤٠ من أعوانه .

وفى عام ١٤٠٢ هـ تظاهرت مجموعة من الحجاج الايرانيين امام المسجد النبوى ، ورددوا هتافات بعد صلاة عصر العشرين من ذى القعدة رافعين صور الخومينى[٩٠] ، وفى عام ١٤٠٣ قام الحجاج الايرانيون بمظاهرات صاخبة اصطدموا خلالها بالشرطة السعودية .

---

(٩٠) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال الدكتور الصالحى السابق الذكر ص ١٤٤ .

وفى عام ١٤٠٤ هـ قام الحجـاج الايرانيون بالتحرش بالحجاج العراقيين فى محـاولة لاشعال نار الفتنة وتقويض أمن الحجيج .

وفى عام ١٤٠٥ هـ نظم الحجاج الايـرانيون مظـاهرة هدفوا من ورائهـا قراءة رسالة من الخومينى الى الحجـاج المسـلمين .

وفى عام ١٤٠٦ هـ تصـاعدت الامور بقيـام ايـران بارسال متفجرات وضعت فى جيوب سريه بحقـائب بعض الحجاج الايرانيين بغرض احداث القلاقل فى البلد الحرام[٩١] وبالرغم من ذلك فقد سـكتت السعودية على ما حدث بعـد ضبطهـا لهذه المتفجرات ، ولم تقـم بتصعيـد المـوقف ، وصدرت تعليمـات خادم الحرمين الشريفين بعـدم اثـارة المسألة [٩٢] وترك الحجـاج الذين حملوا المتفجرات يحجون ويعودون الى بـلادهم سالمين ، ولكن لما بلغت المأساة ذروتها الى حـد لا يمكن السـكوت عليه كان لابد من وقفة تحافظ فيهـا المملكة على ضيـوف الرحمن وعلى سلامة المسـجد الحـرام ومكة المكرمة وعلى كل حال فقد استنكر علمـاء

---

(٩١) شلبى : حركات فارسية ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .
(٩٢) شلبى : المرجع السابق ص ٢٠٦ .

المسلمين فى مؤتمرهم العالمى الثالث الذى عقد بمكة المكرمة محاولة افساد موسم الحج وترويع الحجاج الامنين ، واشادوا بجهود المملكة فى افشال ما كان النظام الايرانى يبيت القيام به ، واعلنوا عن دعمهم الكامل لما قامت به المملكة من اجراءات لوأد الفتنة ومعالجتها للموقف وطالب علماء المسلمين أن تقف الدول الاسلامية من نظام الارهاب فى ايران وقفة شجاعة ، حتى تقف مثل هذه الاعمال الارهابية عند حدها وأكدوا على أهمية تنزيه الحج كفريضة مقدسة من أى لغو أو فسوق أو جدال فضلا عن الهتافات السياسية التى لا يقرها الشرع الاسلامى الحنيف[٩٣] .

ولما اجمع العالم الاسلامى فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى العاصمة الاردنية عمان على تحديد نسب الحجاج نظرا للمشروعات العمرانية التى تواصل حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز اداءها ابتغاء مرضاة الله لجأت ايران الى منع الايرانيين من الحج فى موسم عام ١٤٠٨ هـ ، وتكرر ذلك فى عام ١٤٠٩ هـ ثم فى عام ١٤١٠ هـ

وعلى الرغم من أن المملكة العربية السعودية عبرت عن

---

(٩٣) الشرق العدد ٤٢٦ فى ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ ص ٩ .

حسن نواياها تجـاه جمهـورية ايران والشعب الايرانى ، ورحبت بمجيء الحجـاج الايرانيين مثلهم مثل باقى المسلمين من شتى انحـاء العـالم الاسلامى فى نطـاق ما اتفـق عليه فى مؤتمر وزراء خارجيـة الدول الاسـلامية من حيث نسب الحجاج المقررة لكل دولة (٩٤) ، وعلى الرغم من أن من يمنع الحجيج من تأدية الفريضـة يعد صدا عن ذكر الله ، وحبسـا لمسلمين يريدون أن يؤدوا فريضـة الحج ، ومـن يمنع مسلما عن اداء الفريضة فحسـابه شديد ووزره كبير خصـوصا وانه يقوم بتعطيل أحد أركان الاسـلام الخمسة، فان الحكومة الايرانية أصرت على منع مسـلمى ايـران من فريضة الحج ، وتطالب برفع شعـار البـراءة لاغراضهـا السياسية مع أن فريضـة الحج تدعو المسـلمين الى السكينة والالتزام ، وكما قال تعالى « لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ومن أراد الحج يجب عليه السكينة لاداء الشعيرة المقدسـة ، ومراعاة مشـاعر الحجاج دون ازعاج (٩٥) .

ولم تقتصر الحكومة الايرانية على ذلك بل ظلت الأيدى

---

(٩٤) عكاظ فى ٧ ذى القعدة ١٤١٠هـ حديث للأمير أحمد بن عبد العزيز تحت عنوان « المملكة ترحب بالحجـاج الايرانيين فى نطاق قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية » .

(٩٥) عكاظ فى ٧ ذى القعدة ١٤١٠هـ .

القرمطية تـدبر للاساءة الى الحرم المكى الشريف مستعينة فى ذلك بمجمـوعة مارقة عن الدين وصلت الى مكة وقـامت بعدوان باطنى جـديد استهـدف الحـرم الشريف ، وروع الحجاج وأساء الى المسلمين فى كل أقطار الدنيا •

وكان هذا العمل المشـين من حكومة ايران قد قـوبل بالاستنـكار من العـالم الاسلامى الذى أشـاد بجهـود حكومة المملكة العـربية السـعودية فى القضـاء على تلك الشرذمة الباغيـة ، وأيدت حكومة خـادم الحرمين الشريفين فيمـا تتخذه لحماية الحرمين الشريفين ، وما تملكه من حـق فى ذلك •

فالمملكة العربية السعوديـة تستشعر عظم المسئوليـة نحو الحرمين الشريفين ، وبدافـع هذا الشعـور خـدمت الحرمين الشريفين خدمتهما توسعـة واعمـارا وخدمتهمـا بتيسير كل ما يحتـاجه الحاج والمعتمر ، وخدمتهما بتوفـير أمن الطريق اليهما ، وأمن أداء المناسك والزيارة فيهما ، وكان قـادة المملكة ولا يزالون يعدون ذلك أشرف رسالة يحملونها قائدا بعد قائد •

قال الملك عبد العزيز آل سـعود وهو يطمئن العـالم الاسـلامى الى أن تقـاليد الحرمين الشريفين قد آلت الى

يد أمينة « لقد قضينا على الظلم ، ونشرنا العدل في ربوع البلاد ، وليس أشهى الى قلوبنا من اقبال المسلمين على الحج من جميع انحاء العالم الاسلامى •• الطرق مفتوحة •• ولن يتعرض أحد لكم بسوء ، فاطمئنوا كل الاطمئنان ، ونحن انفسنا سنذهب الى مكة لنجتمع بالوفود الاسلامية ، ونرحب بها • وقد آلينا على أنفسنا أن نعيد للحج ازدهاره ومجده القديم كما قال « اننا أنا واسرتى ، وشعبى وجندى جند من جنود الله يسعى لخير المسلمين ، ولتأمين راحة الوافدين الى بيت الله الحرام»[٩٦] •

وقال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز « الحمد لله الذى وهبنا من لدنه نعمة الحياة والجوار فى كنف البلد الامن والحرم الامن ، وجعل خدمة الحرمين الشريفين ، وخدمة الحجاج والعمار والزوار أعظم مسئولياتنا وأسماها وأشرفها » •

ان السعوديين يدفعون بحزم كل أذى عن الحرمين الشريفين ، وهم مستنفرون دوما لبذل النفس والولد فى

---

(٩٦) الحرس الوطنى : ذو الحجة ١٤٠٤هـ / سبتمبر ١٩٨٤م ص ٨ تحت عنوان نص الخطاب التاريخى لجلالة الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود فى وفود الحجيج منذ خمسين عاما .

سبيل الحفاظ على مقدسات الاسلام فى مكة المكرمة والمدينة المنورة • ولقد عرف العالم الاسلامى مايقومون به من واجبات جليلة فالتف حولهم بالمساندة الفكرية والادبية ، ولقد تمثل ذلك فى التأييد الجماعى فى المؤتمرات والندوات والمراسلات على مستوى الشعوب والحكومات الاسلامية •

وقد أكد المسئولون فى المملكة العربية السعودية انهم سيضربون بيد من حديد على يد أى عابث يريد العبث بأمن حجاج بيت الله الحرام من أى جهة كانت (٩٧) •

والسؤال المطروح هو اذا كانت الاماكن الاسلامية المقدسة قد تعرضت للعديد من الاعتداءات من جانب بعض الموتورين فهل اقتصر أمر ذلك على الاماكن الدينية الاسلامية فحسب أم أن هناك اعتداءات حدثت على كنائس وأديرة النصارى من النصارى انفسهم •

الواقع أن التاريخ يوضح لنا أن الامر لم يقتصر على المقدسات الاسلامية بل كان هناك العديد من

---

(٩٧) اليمامة : العدد ٩٩٢ فى الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ حديث للأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية .

الاعتداءات قام بها بعض النصارى على الكنائس والاديرة والامثلة على ذلك متعددة نذكر منها :

١ — خلال ثورة « مارتن لوثر » فى المانيا ضد مفاسد الكنيسة ودعوته الى المذهب البروتستانتى قام بعض الاهالى بمهاجمة الكنائس والاديرة ودمروا ما بها من تماثيل ونفائس ، وطردوا الرهبان من الاديرة[٩٨] .

٢ — عندما جاءت الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م قام الفرنسيون بهدم الاديرة والكنائس الارثوذكسية فى الاسكندرية ورشيد ، كما قاموا بهدم اديرة الروم وقتلوا رهبانها من أجل الظهور بمظهر المدافع عن الاسلام [٩٩] ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا فسرعان ما كشف بونابرت القناع عن نفسه وظهت كراهيته للأسلام والمسلمين واضحة للعيان خصوصا بعد دخول

---

(٩٨) عبد الحميد البطريق : تاريخ أوربا من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، الرياض ، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ص ٤ .

(٩٩) حولية كلية التربية بالفيوم : العدد الثانى ، الجزء الأول ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ دراسة للدكتور عبد الله عزباوى تحت عنوان « الحملة الفرنسية على مصر والشام فى ضوء الوثائق التركية » ص ١٩٥ — ١٩٨ .

قواته الازهر بخيولها وتمزيقهم المصاحف والاعتداء على المصلين ، ومما يؤكد علمانية بونابرت وكراهيته للنصرانية أيضا وعدم تمسكه بأى دين رسمى ، قيامه بسجن بابا روما الذى يعتبر الشخصية الاولى لدى النصارى الكاثوليك وهو البابا بيوس الثانى دون أن يأبه لشعور النصارى أو غضبهم مما هز شعور العالم الكاثوليكى بهزة عنيفة من الاعماق وأضاع هيبة الكرسى البابوى والتقاليد الرومانية (١٠٠) .

---

(١٠٠) هـ. فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ١٧٨٩ / ١٩٥٠ القاهرة ، دار المعارف ص ٨٥ .